الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة

وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

ملحقة مغنية

قسم اللغة العربيّة وآدابها

رثاء الزّوجات في الشّعر العربيّ

قراءة في نماذج منه

تقرير بحثيّ لنيل شهادة الإجازة في اللّغة العربيّة وآدابها

إعـــداد:

✓ نور آمال

إشـــراف:

✓ د. محمّد محيي الدين

السّنـــة الجامعيّـــة: 2013– 2014

الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة

وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

ملحقة مغنية

قسم اللغة العربيّة وآدابها

رثاء الزّوجات في الشّعر العربيّ

قراءة في نماذج منه

تقرير بحثيّ لنيل شهادة الإجازة في اللّغة العربيّة وآدابها

إعـــداد:

✓ نور آمال

إشـــراف:

✓ د. محمّد محيي الدين

السّنـــة الجامعيّـــة: 2013– 2014

إهـــداء

إلى من كانت دعواتهما صدى في أذني، وتوجيهاتهما نبراساً في طريقي، أمّي وأبي- حفظهما اللـــه - .

إلى من كانت نظراتهم إليّ سبب فرحتي وحبّـــي، زوجي وإخوتي.

إلى أحبّتي، من دون استثناء، ما دامت الحياة صفحات يكتبها الإخلاص والوفاء والحبّ.

آمال

المقدّمة

المقـــدّمـــة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

يُعَدّ الرثاء من أهمّ أغراض الشعر العربيّ . وهو من أصدقها تعبيراً عن المشاعر الإنسانيّة، لأنّهُ يرتبط بالموت وبالحزن على من ماتوا وفارقوا الحياة.

ولهذا السّبب، اخترت "رثاء الزوجات في الشّعر العربيّ" موضوعاً لبحثي، ثمّ لكونه موضوعاً جديداً لم يطرقه – حسَب علمي- أحد من قبل.

وقد أخرجت بحثي هذا في مدخل، وأربعة مباحث، وخاتمة .

فالمدخل عرّفت فيه غرض الرّثاء، وبيّنت ألوانه، ثمّ ألحقت ذلك بلمحة تاريخيّة.

وعقدت المبحث الأوّل لرثاء جرير لزوجته. وقد قسّمته إلى مطلبين: خصّصت أوّلهما لترجمة الشاعر، وحاولت في الآخر تحليل قصيدته الّتي رثى فيها زوجته.

وتناولت في المبحث الثّاني رثاء ابن حمديس لزوجته. وقسّمته كذلك إلى مطلبين: عرّفت في الأوّل ابن حمديس، و حلّلت في الآخر القصيدة الّتي رثى فيها زوجته.

وأمّا المبحث الثالث، فكان لرثاء محمود سامي البارودي لزوجته. وقد خصّصت المطلب الأوّل لترجمته، وحاولت في المطلب الثّاني تحليل قصيدته.

وأمّا المبحث الرّابع فوقفته على بيان الخصائص الفنّيَة لهذا اللّون من الشّعر.

وأنهيت بخاتمة تضمّنت نتائج بحثي.

وقد سلكت في دراستي المنهج التحليليّ في تحليل القصائد، والمنهج الفنيّ في بيان الخصائص الفنّيّة.

واستعنت، في إعداد هذا التقرير، بعدد من المصادر والمراجع، على رأسها دواوين الشعراء، وكتاب شوقيّ ضيف "الرّثاء"، وكتاب أحمد حسن الزيّات "تاريخ الأدب العربيّ"، وكتاب حنّا الفاخوريّ "تاريخ الأدب العربيّ".

ومن الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد هذا البحث قلّة المصادر و المراجع.

ولا يفوتني، في الختام، أن أتقدّم بجزيل شكري وفائق عرفاني إلى كلّ من ساعدني على تحقيق هذا المشروع، وأخصّ بذلك أستاذي المشرف الذي هداني بتوجيهاته، وزوّدني بجملة من مراجع البحث.

وأرجو أن أكون قد وُفّقت في عملي هذا، إلى الصواب. وما التوفيق إلاّ بالله؛ فهو الهادي إلى سواء السّبيل.

مغنية، في 10 مايو 2014

آمال نور

المدخل

مـــدخـــل

تعريف الرثاء

أ –لغة :

رثا الميّت يرثوهُ رَثْوًا : بكاه وعدّد محاسنه، ورثى الميّت يرثيه رَثْيًا ورِثَاءً ورِثَايَةً ومَرْثَاةً و مَرْثِيةً: بكاه وعدّد محاسنه، ورَثاهُ: نظم فيه شعرًا، ورثى له: رحِمه ورقّ له، ورَثّى الميّتَ وترثَّاهُ: مِثْل رثَاهُ، والرَّثَّاءة والرّثّايَة : النَّوَّاحَة.

و المَرثَاةُ : ما يُرثَى به الميّت من شعر ونحوه، و المَرْثِية: جمعها: مَرَاثٍ[1]

[1] سعيد الخوريّ الشرتونيّ، كتاب أقرب الموارد والشوارد في فصيح العربيّة، إيران، (د.ط.)، 1403هـــ، مادّة "رثى" .

ورثيتُ الميّت مرثية، ورثوته أيضا، إذا بكيته وعدّدت محاسنه، وكذلك إذا نظمت فيه شعراً. ورثى له: رقّ له. قالت امرأة من العرب : رَثَأْت زوجي بأبيات – و هَمَزَتْ–. قال الفَرَّاء : ربّما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس بمهموز. قالوا: رثَّأْتُ الميّت، ولَبَّأتُ بالحجّ، وحَلأّت السَّويق تَحْلِئَةً. وَإِنَّمَا هو من الحلاوة[1].

ب– اصطلاحا :

الرثاء غرض من أغراض الشّعرالغنائيّ، يعبّر فيه الشاعر عن حزنه وتفجّعه لفقدان حبيب[2].

ويعرّف ابن رشيق القيروانيّ الرّثاء بقوله: "وليس بين الرّثاء والمدح فرق، إلاّ أنّه يُخلَط بالرّثاء شيء يدُلّ على أنّ المقصود به ميّت، مثل "كان" أو "عدمنا به كَيْتَ وكيت"، وما يشاكل هذا ليُعلَم أنّه ميّت ".

[1] إسماعيل بن حمّاد الجَوْهَريّ، معجم الصّحاح، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2008م، مادّة "رثى".
[2] انظر : إميل ناصيف، أروع ما قيل في الرثاء، دار الجيل، بيروت، ط2، (د.ت.)، ص 5.

ويذكر ابن رشيق بعضَ صفاته، فيقول: "وسبيل الرّثاء أن يكون ظاهر التفجّع، بيّن الحسْرة، مخلوطًا بالتلهّف والأسف والاستعظام"[1] .

ويعرّف الدكتور شوقيّ ضيف الرثاء قائلا: "الرثاء غرض شعريّ بارز في التراث العربيّ بروزَ حتميّة الموت. وهو فرصة للتّعبير عن الشّعور الصادق الذي يفيض حسرةً ونشيجًا "[2] .

2- ألوانه :

يقوم الرثاء على ثلاثة ألوان مختلفة، تبعًا للطّبيعة والمزاج والمواقف؛ فإذا غلب البكاء على الرّاحل، وبثّ اللوعة والحزن، كان نَدْبًا، والندب هو : النُّواح والبكاء على الميّت بالعبارات المُشجية والألفاظ المحزنة التي تصدع القلوب القاسية، وتُذبب العيون الجامدة، إذ يوَلول النائحون والباكون ويصيحون ويُعولون، مسرفين في النحيب والنشيج وسَكْب الدموع؛ وإِذا غلب عليه تسجيل الخصال الحميدة التي تحلّى بها الفقيد في حياته، كان تأبينًا، وهو الثناء على الشّخص حيًّا أو ميّتًا. ثمّ اقتصر استخدامه على الموتى، إذ كان من عادة العرب في الجاهليّة أن يقفوا على قبر الميّت، فيذكروا مناقبه، ويعدّدوا فضائله، ويُشهروا محامده. وشاع ذلك عندهم، ودار بينهم، وأصبح

---

[1] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشّعر و آدابه، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401هـ/1981م، ج2، ص 308.

[2] شوقي ضيف، الرثاء، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط2، 1955م، ص 5.

في عاداتهم، ولو لم يقفوا على القبور. وكأنّهم يريدون أن يحتفظوا بذكرى الميّت على مرّ السنين. و إذا غلب عليه التأمّل في حقيقة الموت والحياة كان عزاءً. وأصل العزاء هنا الصبر، ثمّ اقتصر استعماله على الصّبر على كارثة الموت، وأن يرضى من فقد عزيزًا بما فاجأه به القدر؛ فتلك سنّة الكون: نُولَد، ونمضي في الحياة سعداءَ أو أشقياء، ثمّ نموت. وكأنّ النّاس راحلون وهم لا يفكّرون عقب رحيلهم إلاّ في أجداثهم. وهي غايتهم الّتي ينتهون إليها، ولا مفرّ لهم منها ولا خلاص[1].

3- لمحة تاريخيّة :

إنّ المتتبّع للشّعر العربيّ يرى أنّ الرّثاء وُجد في كلّ العصور. وبما أنّه ذكر لخصال الميّت ومحامده، فإنّ قصائد الشعراء لم تأت مختلفة، بل جاءت متشابهة في كلّ العصور الأدبيّة، باستثناء بعض الشعراء؛ فقد التزموا في قصائدهم القيَم الدينيّة والخلقيّة، وأدخلوا فيها لونًا سياسيًّا تناولوا فيه البكاء على قتلاهم أثناء المعارك والفتن، وذلك في العصرين الأمويّ و العبّاسيّ. وأمّا في الأندلس فقد برز نوعٌ جديدٌ من الرّثاء، هو رثاء الممالك الزائلة والمدن الساقطة.

[1] انظر : شوقيّ ضيف، المصدر السابق، ص 4.

أمّا في العصر الحديث، فظهر على مضمون المرثية تطوّر تمثّل بخاصّة في ظهور النزعات الوطنيّة والاجتماعيّة، حيث نجد أنّ كثيرًا من الشّعراء اتّجهوا إلى رثاء الزعماء والعلماء وغيرهم من الأشخاص الذين خدموا أوطانهم و مجتمعاتهم .

والشّعراء العرب الّذين نظموا في هذا الغرض كمٌّ هائلٌ لا يُعَدُّ ولا يُحصَى. ومن أشهرهم في الجاهليّة: المهلهل والخنساء. فأمّا المهلهل فله أكثر من قصيدة في رثاء أخيه كُلَيْب. يقول من واحدة :

إِنَّ في الصَّدْرِ من كُلَيْبَ شُجُونًا* هَاجِسَاتٍ نَكَـــأْنَ** مِنْهُ الجِرَاحَا

أَنْكـــَرَتْنِي خَلِيلَتـــِي إِذْ رَأَتْنِـــي كَاسِفَ اللَّوْنِ لا أُطِيقُ المِزَاحَـــا[1]

أمّا الخنساء فلها كذلك أكثر من قصيدة في رثاء أخيها صخر. تقول من إحداها:

يَا عَيْنُ مَالَكِ لاَ تَبْكِينَ تَسْكَابَا إِذْ رَابَ دَهرٌ وكَانَ الدَّهْرُ رَيَّابَا[2]

فابْكِي أَخَـــاكِ لِأيتَامٍ وَأَرْمَلَـــةٍ وابْكي أَخَاكِ إذا جَاوَزتِ أجْنَابَا

ومن أشهر الشعراء في صدر الإسلام متمّم بن نُوَيْرَة. وله عدّة قصائد في رثاء أخيه مالك، اخترتُ منها قوله :

---

[1] ديوان المهلهل، تحقيق أنطوان محسن القوّال، دار الجيل، بيروت، ط1، 1415م، ص 21.

* شجون : ج شجن : الهمّ و الحزن.

**نكأ الجرح : قشره قبل أن يبرأ.

[2] سراج الدين محمّد، الرثاء في الشعر العربيّ، دار الراتب الجامعيّة، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.)، ص7.

نِعْمَ القتِيلُ إذا الرّياحُ تَنَـــاوَحَتْ تَحْتَ الإزار قتلتَ يا بن الأزور

أدعـــوتَهُ بـــالله ثُمَّ قَتـــلْتـــَهُ؟! لو هُو دعـــاكَ بذمّـــةٍ لم يغدر[1]

أمّا في العصر العباسيّ فبرز العديد من الشّعراء الذين نظموا في هذا الغرض، ومن أبرزهم أبو تمّام. وله قصيدة في رثاء محمّد بن حُمَيد الطُّوسيّ، أحد قوّاد جيش المأمون العباسيّ. يقول في أوّلها:

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأمرُ فَلَيْسَ لعَيْنٍ لَمْ يَفِـــضْ ماؤها عُـــذْرُ

تُـــوُفِّيَـــتِ الآمَـــالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عن السَّفَـــرِ السَّفْرُ[2]

وأمّا في الأندلس، فمن قصائد الرّثاء قصيدة ابن زيدون الّتي رثى فيها ابنة المعتضد، و قصيدة أبي البقاء الرُّنْدِيّ. فأمّا قصيدة ابن زيدون، فقال منها :

ســـرّكَ الـــدَّهْـــرُ وَسَـــاءَ فَاقْنَ شكـــراً و عـــزَاءَ

كَمْ أفَادَ الصَّـــبْرُ أَجْـــرًا واقْتَضَى الشّكْرُ نَمـــاء[3]

---

[1] ديوان مالك ومتمّم ابني نويرة اليربوعيّ، تحقيق إبراهيم مرهون الصّفّار، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د.ط.)، 1968، ص 91.

[2] إميل ناصيف، المرجع السابق، ص 36.

[3] ديوان ابن زيدون، تحقيق كرم البستانيّ، دار صادر، بيروت، ط3، 2003م، ص 134.

وأمّا قصيدة أبي البقاء، فرثى فيها بلاد الأندلس. يقول منها:

لِكُلِّ شَـــيْءٍ إذا ما تمّ نُقْصَـــانُ فَلاَ يُغَرَّ بِطيبِ العيْشِ إنْسَـــانُ

هيَ الأمورُ، كما شاهدتَها، دولٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ[1]

[1] إميل ناصيف، المرجع السابق، ص 81.

المبحث الأوّل

رثاء جرير لزوجته

المبحث الأوّل: رثـــاء جريـــر لزوجتـــه

ترجمتـــه: هو أبو حَزْرَة جرير بن عطيّة التميميّ،الملقَّب "بالخَطَفَى" [1] . وهو من أسرة فقيرة كانت تكسب قوتها من رعي الماشية [2].

التحم جرير مع الأخطل والفرزدق في الهجاء زهاء أربعين سنة. وهو أحد فحول الشّعراء الأُمويّين، وبلغاء المدّاحين والهجّائين. وُلد باليمامة سنة 34هـــ/655م. ونشأ بالبادية. وفيها قال الشّعر ونبغ [3].

كان يذهب إلى البصرة لطلب الميرة ومدح الكبراء. ورأى الفرزدق فيها، ونظر إلى ما أكسبه الشعر من مترلة عند الأمراء و الولاة، وهو تميميّ مثله، فودّ لو سبقه إلى ما ناله. فوقعت بينهما مهاجاة دامت عشر سنين [4].

ثمّ اتّصل جرير بالحجّاج ومدحه، فأكرمه ورفع مترلته. فعظُم شأنه وشرّق شعره وغرّب حتى بلغ الخليفةَ عبد الملك، فحسد الحجّاج عليه. فأوفده الحجّاج، مع ابنه،

---

[1] انظر : أحمد حسن الزيّات، تاريخ الأدب العربيّ، دار المعرفة، بيروت، ط11، 1428، 2007مـــ، ص 123.

[2] ديوان جرير، تحقيق عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1417هـــ/1997مـــ، ص 6.

[3] المصدر نفسه، ص 7- 8.

[4] انظر أحمد حسن الزيّات، المرجع السابق، ص 123.

إلى الخليفة بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه. ومن ذلك الوقت عُدَّ جرير من مُدّاح خلفاء بني أميّة. ومات باليمامة سنة 110هـــ، ودُفن بها [1].

وقد أجاد جرير النظم في الغزل، والمدح، والهجاء، والرثاء. وكان لفظه يتميّز بالجمال، وأسلوبه يتّسم باللين والرّقة.

و من قوله في الغزل :

إنّ العيون التي في طرفها حَـــــوَرٌ قَتَلْنَنَا ثمّ لا يُحيـــينَ قَتْـــلاَنَا

يَصْرَعْنَ ذا اللبِّ حتّى لا حَراكَ به وهُنَّ أضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أركَانَـــا

و من المدح قوله في بني أميّة :

أَلَسْتُم خَيْرَ مَنْ رَكِـــبَ المطَـــايَا وأَنْـــدَى العَالَمِينَ بطُـــونَ راحِ

و من الهجاء قوله :

فغُضَّ الطَّرفَ إنّـــكَ مِنْ نُمَيرٍ فَلاَ كَعْبًا بَلَغْـــتَ وَلاَ كِلاَبَا [2]

نص المرثية :

لولا الحَيَـــاءُ لَعَادَنِـــي اسْتِعْبَـــارُ، وَ لَـــزُرْتُ قَبْرَكِ والحَبِـــيبُ يُـــزارُ

[1] انظر : أحمد حسن الزيّات، المرجع السابق، ص 123.

[2] انظر ديوان جرير، ص 8-9.

وَ لَقَدْ نَظَرْتُ، وَمَا تَمَتُّعُ نَظْـــرَةٍ ... فِي اللَّحْدِ، حَيْثُ تَمَـــكنَّ المِحْفَـــارُ

فَجزَاكِ رَبُّكِ فِي عَشِيرِكِ نَظْـــرَةً، ... وَسَقَى صَدَاكِ* مُجَلْجِلٌ** مِـــدرَارُ

وَلّهتِ قَلْبِـــي، إذْ عَلَتْـــنِيَ كَبْـــرَةٌ، ... وَذَوُو التّمَـــائِمِ من بَيْنكِ صِغَـــارُ

أَرْعَى النُّجُومَ وقد مَضَتْ غَوْرِيَـــةٌ ... عُصَبُ النُّجُومِ كَأَنَّهُنَّ صِـــوَارُ***

نِعْمَ القَرِينُ وكُنْتِ عِلْقَ مَضِنَّـــةٍ ... وَارَى، بِنَعْـــفِ بُلَيَّةَ، الأحْجَـــارُ

كَانَتْ مُكَرَّمَةَ العَشِيرِ ولَمْ يَكُـــنْ ... يَخْشَى غَـــوَائِلَ أمِّ حَزْرَةَ جَـــارُ

والرِّيـــحُ طيّـــبةٌ إذا اسْتَقْبَلْتِهَـــا، ... والعِرْضُ لاَ دَنِـــسٌ وَلاَ خَـــوَّارُ

و إِذَا سَرَيْتُ رَأَيْتُ نَارَكِ نَـــوَّرَتْ ... وَجْـــهًا أغَـــرَّ، يَزِينُـــهُ الإسْفَـــارُ

يَا نَظْرَةً لك يوم هَاجَت عَبْـــرَةٌ ... مِـــن أمِّ حَـــزْرَةَ، بالنُّميرَةِ، دَارُ

كَانَتْ إذا هجرَ الخَلِيلُ فِراشَهَـــا، ... خُزِنَ الحَدِيثُ وعفّـــتِ الأسْـــرَارُ

وَلَقَدْ أَرَاكِ كُسِيتِ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ ... وَمَعَ الجَـــمَالِ سَكِينـــةٌ وَ وَقَـــارُ

صَلَّى المَلاَئِكَةُ الّذين تُخُـــيّرُوا، ... والصَّـــالحُون عَلَيْـــكِ، والأبْـــرَارُ

لا تُكْثِرَنَّ إذا جَعَلْتَ تَلُومُنـــي، ... لا يَذْهَبَـــنَّ بِحِلْمِـــكَ الإِكْـــثَـــارُ

كَانَ الخَلِيطُ هُمُ الخَلِيطَ فَأَصْبَحُوا ... مُتَبَـــدّلِينَ، وبالدِّيَـــارِ دِيَـــــارُ [1]

---

[1] جرير، المصدر السابق، ص 182- 184.

*الصدى : الجثمان.

**المجلجل : السحاب الراعد.

***الصوار : القطيع من بقر الوحش.

شرحها :

مُنع جرير من رثاء زوجته، أمِّ حزرة خالدة، وذلك بسبب العادات والتقاليد الصّارمة الموروثة، لكنّه لم يستطع الصّبر والصّمت، فكسَرَ هذه العادة، وقال رائيّته المشهورة.

وهو، في هذه الأبيات، يرثي زوجته فيقول ما معناه: لولا استحيائي لانتابني البكاء والحزن، ولقمت بزيارة قبرك.

ويصّور لنا نظره إلى قبرها بأنّه لا يمكن أن يكون مُمتعا للبصر، وأن يكون ذلك القبر مكانا لسرور العين، بعد أن تمكّنت منه أداة الحفر.

ويدعو الشّاعر لزوجته بالرّحمة والمغفرة، وأن يَغْسِلَ جثمانَها بالسّحاب الرّاعد، الغَزِير السيلان.

ويُعبّر عن حزنه الشّديد على زوجته الّتي تُوُفّيت وتركت أطفالها الصّغار يقاسون مرارة اليُتْم.

ويتحدّث عن حاله فيقول معناه: إنّه لا ينام اللّيل؛ فقد أذهب فراق زوجته عنه النّوم، فأصبح يراقبُ النّجوم، وقد أخذت تتّجه نحو الغَوْر، وكأنّه يرعى قطيعا من بقر الوحش.

و يمدح الشاعر زوجته بأنّها كانت قرينة صالحة، وبأنّها كالعقد النّفيس المنظوم بالأحجار الكريمة الثّمينة. ثمّ يقول ما معناه: إنّها كانت طيّبة المعاشرة، وإنّ جيرانها لم يخشوا بوائقها. بل كانت طيّبة بعيدة عن الإساءة.

ويصف الشّاعر زوجته بالبياض، ثمّ يمدحها فيقول ما معناه: إنّها كانت أمينة وفيّة حافظة للأسرار الزوجيّة.

ثمّ يصفها بأنّها كانت جميلة المنظر، ويزيّنُ هذا الجمال الخلْقيّ ما كانت تتحلّى به من السّكينة والوقار. ثمّ يدعو الملائكة والصّالحين أن يصلّوا عليها.

و يجرّد الشاعر من نفسه شخصًا آخر ليكلّمه، ناهيًا إيّاه عن الإكثار من ملامته.

ثمّ يقول ما معناه: إنّ كلّ شيءٍ تغيّر بعد موتها، بعد أن كانت هي الزوجةَ والصاحب و الجار.

المبحث الثّاني

رثاء ابن حمديس

لزوجته

المبحـــث الثانـــي: رثـــاء ابن حمديـــس لزوجتـــه

ترجمتـــه: هو أبو محمّد عبد الجبّار بن حمديس. وُلد سنة 447هـ/1055م بسيراكوزة بجزيرة صقلّيّة، ونشأ هناك. وبرع في قول الشعر .

ثمّ اضطُرّ للخروج من صقلّيّة بعد سقوطها في يد النُّرمان، فقصد المعتمد بن عبّاد صاحب إشبيلية. و لم يكن سهلاً عليه التقرّب من ابن عبّاد. ولكنّه، في الأخير، نال مراده. على أنّ تلك الحظوة لم تدم ذلك طويلا بسبب استيلاء يوسف بن تاشفين، أمير المرابطين، على إشبيلية، ونفي ابن عبّاد إلى "أَغْمَاتْ"، قرب مرّاكش [1].

وبعد وفاة ابن عبّاد، أقام ابن حمديس بالمهديّة. وبعد ذلك، شدّ الرّحال إلى جزيرة "ميورقة"، فعاش فيها إلى أن وافته المنيّة سنة 527هـ/1132مـ [2].

وقد ترك ابن حمديس ديوان شعر طُبع في "بالرمو" سنة 1883م، ثمّ في "روما" سنة 1897مـ.

وبسبب نشأة ابن حمديس في كنف طبيعة صقلّيّة السّاحرة، برع في الوصف وتميّز شعرُه بدقّة التصوير والخيال الواسع؛ فإذا وصف النّهر جعلك ترى الصَّبا تصقل متنه وتُظهر تفاصيله، وأسمعك في خريره شكاويه من الجراح الّتي تمتلئ بها أطراف الحصا في قاعه:

---

[1] حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربيّ، دار الأصالة، الجزائر، ط10، (د.ت.)، ص 841.
[2] المرجع نفسه، ص 841.

ومُطَّردِ الأجْزاءِ تصـــقل مَتْنـــهُ صبًا أعلنت للعينِ ما في ضَـــميرهِ

جرِيحٍ بأطراف الحصَى كلّما جرى عليها شكَا أوجاعَهُ بِجرِيرِهِ [1]

و قد كان ابن حمديس شاعرًا رقيقًا مرهف الحسّ، وكان التشاؤم يطغى عليه بسبب الاضطراب الّذي شهدته بلاده بسبب سقوطها في يد المفتتحين. فندب الزّمان وشكا الأحزان وأحبّ العزلة فقال:

ولَمَّا رأيْتُ النَّاس يُرْهَبُ شَرُّهم تَجنَّبْتُهم واُخترتُ وحدَةَ راهبِ[2]

وقد تأثّر ابن حمديس بمذهب أبي العتاهية، فبكى ذنوبه واستغفر ربّه، فقال:

يا ذُنُوبي ثَقَّـــلتِ واللهِ ظَهْـــرِي بانَ عُذري، فكيفَ يُقْبَلُ عُذْري

كلّما تُبْتُ ساعةً عُدْتُ أُخْرَى لضروب من سُوءِ فِعْلِي هُجْري [3]

وقد عرف ابن حمديس، في بعض أوقاته، مَذَاق العذُوبة وانشراح الصدر، فتوجّه إلى الطبيعة يصف جمالها، وينظم الشّعر في النّهر، والزهور، والقصور، والبرك.

وعُرف ابن حمديس بوقاره مع أنّه كان يتردّد على مجالس الطرب واللّهو. وقد قال عن نفسه:

---

[1] حنّا الفاخوريّ، المرجع نفسه، ص 841.

[2] المرجع نفسه، ص. ن.

[3] المرجع نفسه، ص. ن.

أَصِـــفُ الـــرَّاحَ ولا أشربُهَـــا و هيَ بالشَّدوِ وعلى الشَّرب تدورْ

وشعر ابن حمديس غنيّ بالألفاظ الجيّدة والمعاني الرائعة. وهو لا يخلو من الاستعارات و التشبيهات الجميلة [1].

نصّ المرثيـــة:

أيّ خَطْبٍ عن قوسِهِ الموتُ يَرْمِي وسِهامٍ تُصِـــيبُ مِنْهُ فَتُصْمِـــي

يُسرع الحيُّ في الحيـــاة ببُـــرْءٍ ثمَّ يُفضِي إلى المماتِ بِسُقـــــمِ

فهْو كالبَدْرِ يَنْقُصُ النّورُ منْـــهُ بمحاقٍ وكان من قبل ينْمِـــي

كلُّ نَفْـــسٍ رَمِيـــّةٌ لزمـــانٍ قدر سهم له، فقل: كيْفَ يرْمِـــي؟

بدرَ الـــمَوْتُ كلَّ طائرِ جـــوٍّ في مفـــاز، وكلَّ سابـــحِ يَـــمِّ

كمْ رأيْنا وكمْ سمِعـــْنَا المنـــايَا غير أنَّ الهوى يُصِـــمُّ و يُعْمِـــي

أين من عَمّرَ اليَبَابَ، وجيـــلٌ لبسَ الدّهرَ من جَدِيدٍ وطَسْـــمِ

أفلا يُتَّقـــى تَغَـــيّرُ حـــالٍ؟ فَيَدُ الـــدّهـــرِ في بناءٍ وهـــدمِ

لو بكى ناظري بِصَوْبِ دماءٍ ما وَفَى في الأسى بحَسْرَةِ أُمَّـــي

مَنْ تَوَسّدْتُ في حَشَايَا حَشَاهَا وارتدى اللّحمَ فيه والجلدَ عظمي

وضعتْني كَرْهاً كما حملتنـــي وجرى ثَدْيُهَا بشربي وَطُعمـــي

شرَحَ اللّه صَدرَها لي فأشْهَـــى ما إليها إحضانُ جسمي و ضَمِي

---

[1] حنّا الفاخوريّ، المرجع نفسه، ص 842.

بحنـــانٍ كأنّها في رضـــاعـــي أمّ سَقْـــبٍ دَرَّتْ عليْه بشَـــمِّ

كمْ تكفّلتِ من كبيـــرةِ سِنّ وتبنّيْـــتِ من صغيـــرة يُـــتْـــم

فأطلقتْ يداك من صَدَقَـــاتٍ كـــان يحيـــا بهنّ ميّتُ عُـــدْم

كان بين الأناس عُمْرُكِ حَمْدًا قـــد تبرّأتِ فيـــه من كلّ ذَمّ

أنت في جنّةٍ وروضِ نعيـــمٍ لم يَسِمْ أرْضَها السّحابُ بوَسْم[1]

شـــرحهـــا:

يستهلّ الشّاعر مرثيته متسائلاً عن طبيعة ذلك الخطب الّذي يرميه الموت عن قوسه، وعن تلك السّهام الّتي يبعثها فتصيب النّاس فتُميتهم.

ثمّ يقول ما معناه: إنّ الإنسان يبتدئ حياته بصحّة وعافيّة، ثمّ ينتهي إلى الممات بمرض وعلّة.

ويواصل الشّاعر مرثيته حيث يشبّه الإنسان بالبدر الّذي تأتي عليه أيّام المحاق، فيبدأ في النّقصان، بعد أن كان من قبلُ تامًّا. ثمّ يبيّن أنّ يد المنيّة تأخذ كلّ حيّ، حيث يكون، في الصّحراء أو البحر.

ثمّ يتحدّث عن الموت، ذاكرًا أنّ ملذّات الدنيا شغلته عنه.

ثمّ يذكر أنّ في زوال الأمم السابقة عبرةً لأولي الألباب. ثمّ يذكر أنّ الدّهر لا يتوقّف عن البناء والهدم. فليتق النّاس تغيّر الحال.

---

[1] ديوان ابن حمديس، تصحيح إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ص 477-478.

ثمّ يبدأ في رثاء زوجته، فيذكر أنّ بكاءه لها دماً لن يوفيها حقّها ولن يعبّر عن حزنه عليها.

ثمّ يتحدّث بلسان ولده، مبيّنًا جزعه على فقيدته، ذاكرًا ما تعانيه الأمّ من أجل أولادها، وما تحمله لهم من حبّ، وما تغمرهم به من حنان وعطف.

ثمّ يؤبنها بأنّها كانت كثرة الاهتمام بالمسنّات، حاضنة لليتامى، كثيرة التصدّق على الفقراء.

ويواصل الشّاعر تأبين زوجته فيشيد بسيرتها الحميدة في الحياة، ويطمئنها بأنّ مصيرها الجنّة.

المبحث الثّالث

رثاء البارودي لزوجته

المبحـــث الثالث: رثـــاء البـــارودي لزوجتـــه

ترجمتـــه: هو محمود سامي البارودي، ابن حسن بك علي، مدير "دنقلة" و"بربر" على عهد محمّد باشا. وُلد بالقاهرة سنة 1838م. و نشأ في نعمـــة أبيه[1].

و يُقال عن أصل محمود سامي البارودي: إنّه جركسي برجي . توفّي أبوه، وهو صغير السّن، فتولّى بعض أهله تعليمه. و قد دخل المدرسة الحربيّة و تخرّج ضابطا.

أحبّ البارودي الشعر منذ صغره، فاطّلع على دواوين الشعراء، وحفظ شعرهم. كما اطّلع على الأدبين، التركي والفارسي[2].

و قد شارك البارودي في ثورة أحمد عُرابي. و عندما احتلّ الإنكليز مصر، نفوه إلى "سَرْنَدِيبْ". وفيها قال أعظم قصائده[3].

نظم البارودي الشّعرَ في أغراضه المألوفة، كالفخر، والرثّاءِ، والغزل، والوصفِ. ويُعَدّ من الشّعراء المحافظين.

---

[1] انظر: أحمد حسن الزيّات، المرجع السابق، ص 363.

[2] انظر: حنّا الفاخوري، المرجع السابق، ص 905.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص 363.

و للبارودي ديوان شعر فيه أربعة أجزاء، وله مختارات من عيون الشّعر العبّاسيّ، ومختارات من عيون النّثر العربيّ، سمّاها "قَيْد الأوابد"[1]

نصّ المرثيـــة:

أيَدَ الْمنُونِ قَدَحْـــتِ أىَّ زِنَـــادِ ... وَأَطَرْتِ أَيَّةَ شُعْلَـــةٍ بِفـُـؤَادِي

أَقْذَى الْعُيُونَ فَأَسْبَلَتْ بِمَدَامِـــعٍ ... تَجْرِى عَلَى الخَـــدَّينِ كَالفِرْصَـــادِ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أُرَاعُ لِحَادِثٍ ... حَتَّى مُنِـيتُ بِهِ فَأَوْهَـــنَ آدِي

أَبْلَتْرِيَ الحَسَراتُ حَتَّى لَمْ يَكَـدْ ... جِسْمِي يَلُـوحُ لأَعْيُـنِ الْعُـوَّادِ

أَسْتَنْجِدُ الزَّفَراتِ وَهْيَ لَوافِـحٌ ... وَأُسَفِّهُ الْعَبـَرَاتِ وَهْيَ بـَوَادِي

يا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيْـــلَةٍ ... كانَتْ خُلاَصَةَ عُدَّتِي وَ عَتادِي؟

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِها ... أَفَلاَ رَحِمْتَ مِنَ الأَسَى أَوْلاَدِي ؟

أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَـمْ يَنَمْـــنَ تَوَجُّـــعًا ... قَرْحَى العُيُونِ رَوَاجِفَ الأَكْبـَادِ

يَبْكِينَ مِنْ وَلَهٍ فـِرَاقَ حَفـِيَّةٍ ... كَانَتْ لَهُنَّ كَثِيـــرَةَ الإِسْعَـــادِ

فَخُدُودُهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّـةٌ ... وقُلوبُهنَّ مِنَ الهُمُومِ صَـــوَادِي

لَكِنَّهَا الأَقْـدَارُ لَيْسَ بِنَاجِحٍ ... فِيها سِوَى التَّسْلِيمِ وَالإِخْـــلاَدِ

أَفَأَسْتَعِينُ الصَّبْـرَ، وَهْوَ قَسَاوَةٌ ... أَمْ أَصْحَبُ السُّلْوَانَ وَهْوَ تَعَادِي؟

---

[1] انظر: المرجع نفسه، ص ن.

جَزَعُ الْفَتَى سِمَةُ الْوَفَاءِ وصَبْرُهُ غَـــدْرٌ يَدُلُّ بِهِ عَلَى الأَحْقَادِ [1]

شـــرحهـــا:

نظم البارودي في رثاء زوجته هذه القصيدة. وهي تُعَدّ من أطول قصائد رثاء الزّوجات في الشّعر العربيّ. وربّما يعود السّبب في ذلك إلى تواطؤ الأحزان عليه، ونيل الغربة منه.

والشّاعر في هذه الأبيات يخاطب الموت الّذي قدح الزّناد فأشعل بقلبه الألم والحزن الشّديد، ويتحدّث عن الدّموع الّتي انهمرت على خدّيه كالصّبغ الأحمرِ. ويذكر أنّه لم يكن ينتظر هذه الفاجعة الّتي أصابته و أضعفت صبره. ويتكلّم على الهموم الّتي ابتلته، وجعلت جسمه نحيلا واهنا يكاد يخفى على الزوّار الّذين جاؤوا لزيارته و مؤاساته.

و يواصل البارودي وصف حاله فيقول: إنّه استنجد بالزّفرات عسى أن تخفف من همومه وأحزانه المحرقة. ثمّ يعاتب الدّهر، فيقول معناه: لم سلبْتني زوجتي الّتي كانت خلاصة عُدّتي وعتادي؟ ويتوسّل إليه، طالبا منه أن يرحم أولاده من الأسى و الحزن.

[1] شرح ديوان محمود سامي البارودي، حجر عاصي، دار الفكر العربيّ، بيروت، ط1، 2002، ص165.

و يخاطب الشاعر الدّهر مرّة أخرى فيقول ما معناه: لِم لَم تَحنَّ عليّ، وتُشفق على بناتي، إذ جعلتهنّ وحيدات، مجروحات العيون، مفزوعات لما أصابهنّ، يبكين لفراق أمّهنّ الّتي كانت مصدر سعادتهنّ في كلّ الأوقات؟

ويصوّر الشاعر حال بناته، فيصف خدودهنّ المغطّاة بالدّموع، وقلوبهنَّ العطشانة من الهموم. ويبدي، في الأخير، استسلامه لقضاء الله الّذي لا ينفع معه سوى الخضوع والتّسليم. و يشير إلى أنّ الصبر على فراق الأحبّة يُعَدّ من القساوة وصلابة القلب وجمود العاطفة، وأنّ السلوّ عنهم يدلّ على التباعد عن الوفاءِو الخيانة و الغدر.

المبحث الرّابع

الخصائص الفنّيّة

المبحـــث الرابـــع: الخصائـــص الفنّـــيّة

1 -هيكل القصيدة

تتضمّن المراثي ثلاثة عناصر أساسيّة، هي: النّدب، و التّأبين، و العزاء. وهذا لا يعني أنّ كلّ مرثيّة تحتوي على جميع هذه العناصر؛ فقد نجد عدّة قصائد خاليّة من بعضها.

ولعلّ الخطّة المنطقيّة الّتي ينبغي للشّاعر أن يسلكها في بناء المرثية هي أن يستهلّها بندب الفقيد، ثمّ يخلص إلى تأبينه، ويختم بالعزاء. وبذلك يحقّق التسلسل المنطقيّ الّذي لابدّ منه في عرض الأفكار وتصوير العواطف[1].

فإلى أيّ مدى سلك الشّعراء هذه الخطّة في بناء القصائد الّتي نظموها في الرّثاء زوجاتهم؟

حتّى نجيب عن هذا السّؤال، نبحث عن مكان كلّ عنصر من تلك العناصر في القصائد الّتي شرحناها.

أ - النّدب

[1] انظر: شوقيّ ضيف، المرجع السّابق، ص 12.

يحتلّ الندب في مراثي الزوجات منزلة خاصّة، لأنّه أهمّ عنصر إذ قورن بعنصري التأبين و العزاء؛ ففيه يصف الشّاعر كلّ ما يشعر به من ألم، ويصوّر ما يحسّ به من حزن على الفقيدة. ولذلك تكون مرتبته، في الغالب، في أوّل القصيدة.

ومن الأمثلة على ذلك ما نجده في أوّل قصيدة جرير؛ فقد استهلّها بندب فقيدته، قائلاً:

لَولاَ الحَيَاءُ لَعَادَنِي استعْبـــارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ، والحَبِيبُ يُـــزَارُ

ولَقَدْ نَظَرْتُ، ومَا تَمَتُّعُ نَظْـــرَةٍ فِي اللّحْدِ، حَيْثُ تَمَكَّنَ المِحْفَارُ[1]

و يُوجدُ عنصر النّدب كذلك في قصيدة ابن حمديس، و إن لم تحتلّ أولها، بل جاء في أكثر من مكان منها. ومن الأمثلة قول ابن حمديس:

لَمْ أقل، و الأسى يُصَدّقُ قولي: جمـــدت عَبْرتي فلذت بحلمي

وَلوَ انّي كففت دمعي عليها عقّني برّها فأصبح خصمي[2]

و يوجد هذا العنصر بارزًا في قصيدة البارودي. ومن أمثلة ذلك قوله:

ما كُنْتُ أَحْسَبُنِي أُرَاعُ لِحَادثٍ حَتَّى مُنِيـــتُ بِهِ فَأَوْهَنَ آدي

أَبْلَتْنِيَ الحَسَـــرَاتُ حَتّى لم يَكَدْ جِسْـــمِي يَلُوحُ لأعْيُنِ العُوَّادِ[3]

---

[1] جرير، المصدر السّابق، ص 172.

[2] ابن حمديس، الصدر السّابق، ص 488.

[3] البارودي، المصدر السّابق، ص 165.

ب التّأبين

هو من أهمّ عناصر المرثية في الشّعر العربيّ. وهو موجود في كلّ مراثيّ الزوجات الّتي اخترناها لهذه الدّراسة، إذ لم تخلُ منه واحدة . ويعود ذلك إلى أنّ معظم الشّعراء كانوا يعدّدون محاسن فقيداتهم. وذلك حتّى يبيّنوا عِظم مصائبهم، إذ كلّما كان الفقيد عظيما كانت المصيبة عظيمة. ومن الأمثلة على هذا العنصر قول جرير في رثاء زوجته:

كانَتْ مُكَرَّمَةَ العَشِيرِ ولَمْ يَكُنْ يَخْشَى غَوَائِلَ أُمِّ حَزْرَةَ جَارُ

والـــرِّيحُ طَيِّبَةٌ إذ اسْتَقْـــبَلْتِهَا والعِرْضُ لا دَنِسٌ ولا خَوَّارُ[1]

والعنصر نفسه موجود في قصيدة ابن حمديس، إذ يقول، مؤبّنا زوجته، منوّها بإحسانها إلى المحتاجين:

كَمْ تَكَفَّلْتِ مِنْ كَبِيرَةِ سِنّ وَتَبَنَّيْتِ من صَغِيرَة يُتْـــمِ

وأَطْلَقَتْ يَدَاكِ من صَدَقَاتٍ كانَ يحْيَا بِهِنَّ مَيِّتُ عُدْمِ[2]

والتّأبين موجود، كذلك، في قصيدة البارودي. ومن الأمثلة عليه قوله، مشيدًا بشرف أصل زوجته:

أَسليلـــةَ القمرَيْنِ أيُّ فجيعـــة جلّتْ لِفَقْدِكِ بيْنَ هذا النّادي[3]

---

[1] جرير، المصدر السّابق، ص 173.

[2] ابن حمديس، المصدر السّابق، ص 470.

[3] شرح ديوان محمود سامي البارودي، ص 165.

ج -العـــزاء

يتحدّث الشّاعر في هذا العنصر عن الحياة و الموت، محاولاً التعزيّ عن زوجته، لأنّ الحياة لا تدوم، وكلّ حيّ سيموت. ومن الأمثلة على عنصر العزاء في قصيدة ابن حمديس قوله:

أيّ خَطْبٍ عن قوسِهِ الموتُ يَرْمِي وسِهامٍ تُصِـــيبُ مِنْهُ فَتُصْمِـــي

يُسرع الحيُّ في الحيـــاة ببُـــرْءٍ ثمَّ يُفضِي إلى المماتِ بِسُقـــــمِ[1]

و من الأمثلة كذلك على عنصر العزاء في قصيدة البارودي قوله:

قد كِدْتُ أقْضِي حَسْرَةً لَوْ لَمْ أَكُنْ مُتَوَقِّـــعًا لُقْيـــَاكِ يوم مَعَادي[2]

1 -اللّغـــة

اللّغة هي وسيلة الأديب، وهي موسيقاه وألوانه وفكره. وهي المادّة الخام الّتي سوّت النّص كائنا ذا ملامح وسمات، كائنًا ذا نبض وحركة وحياة؛ فاللّغة في يد الشّاعر أو الكاتب قادرة على أن تخلق صورة نابضة بالحياة[3].

[1] ابن حمديس، المصدر السّابق، ص 477.

[2] شرح ديوان محمود سامي البارودي، ص 168.

[3] انظر: محمّد زكيّ العشماويّ، قضايا النّقد الأدبيّ بين القديم و الحديث، دار النّهضة العربيّة، بيروت، (د. ط.)، 1984، ص 49.

وهي تختلف من شاعر إلى آخر، ومن موضوع إلى موضوع؛ فلكلّ شاعر لغته الّتي يعبّر بها، وكلٌّ له طريقته في نظم أشعاره. إلاّ أنّ اللغة تبقى دوما أساس النّجاح في العمليّة الإبداعيّة.

ويجد المتتبّع للمراثي السّابقة، أنّ الشعراء قد اختاروا ألفاظهم اختيارًا دقيقًا، فاستخدموا المفردات في مكانها المناسب.

فنحن نجدهم يستعملون ألفاظًا تصرّح بذكر الرّثاء؛ فقد وَرَدَتْ لفظة "بكاء"، أو لفظة "عَبرة"، عند أغلب الشّعراء. يقول ابن حمديس مثلاً:

لو بكى ناظري بِصَوْبِ دماءٍ مَا وَفَّى في الأسى بِحسْرةِ أُمِّي[1]

ويقول البارودي:

يبكيـــن من وَلَهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ كانت لهـــنَّ كثيرةَ الإِسعادِ[2]

ويقول جرير:

يا نظرةً لك يوم هاجت عبْرة من أمّ حزرة، بالنُّميرة، دار[3]

و إلى جانب هاتين الكلمتين، نجد مجموعة من الألفاظ الّتي عكست أحاسيس الشّعراء، مثل "الموت" و "الأسى" وغيرهما.

---

[1] اِبن حمديس، المصدر السّابق، ص 487.

[2] البارودي، المصدر السّابق، ص 165.

[3] جرير، المصدر السّابق، ص 185.

و يقول البارودي:

أقْذى العيونَ فأسْبَلَتْ بمدامِعٍ تَجْرِي على الخدَّيْنِ كالفِرْصَادِ[1]

و يقول أيضًا:

أمسيتُ بَعْدَكِ عِبْرَةً لِذَوِي الأسى في كلّ يـــومِ مصيبـــة و حِداد[2]

و يقول ابن حمديس:

بَـــدرَ الموتُ كلَّ طَائرِ جـــوٍّ في مَفَـــازٍ، وكُلَّ سَابِـــحِ يَمّ[3]

2 الصّورة

تُعدُّ الصورة من أهمّ الوسائل الفنّيّة الّتي يوظّفها الشّعراء لجلاء عواطفهم وبيان أفكارهم .

ومن أهداف استخدام الشّاعر للصّورة: نقل فكرته وعاطفته إلى قرّائه أو سامعيه[4].

ومن الصّور الّتي وظّفها الشعراء الثلاثة في رثاء الزوجات التشبيه. فمن التشبيهات ما في قول جرير:

---

[1] المصدر السابق، ص 165.

[2] المصدر نفسه، ص 167.

[3] ابن حمديس، المصدر السابق، ص488.

[4] انظر: أحمد الشّايب، أصول النّقد الأدبيّ، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، ط10، 1994، ص243.

أرعى النُّجُومَ وقد مضت غَوْرِيَّةً عُصَبُ النُّجُومِ كأنّهنّ صِوار[1]

إذ شبّه أسراب النّجوم بقطيع من بقر الوحش.

ومنها ما في قوله:

متراكبٌ زَجِلٌ يُضِيءُ وَمِيضُهُ كالبُلْقِ تَحْتَ بُطُونِها الأمْطَارُ[2]

حيث شبّه زوجته بالخيل البُلق، وهي الّتي في لونها بياضٌ وسوادُ.

ومنها ما في قول البارودي:

أقْذى العيونَ فأسْبَلَتْ بمدامِعٍ تَجْرِي على الخدَّيْنِ كالفِرْصَادِ[3]

حيث شبّه دموعه بالصّبح الأحمر.

ومنها ما في قول ابن حمديس:

فهْو كالبَدْرِ يَنْقُصُ النّورُ منْـــهُ بمحاقٍ، وكان من قبل ينْمِـــي[4]

حيث شبّه الإنسان بالبدر.

ومن الصّور الّتي استخدموها الاستعارة، كالاستعارة المكنيّة في قول البارودي:

---

[1] جرير، المصدر السّابق، ص 172.

[2] المصدر نفسه، ص 173.

[3] شرح ديوان محمود سامي البارودي، ص 165.

[4] ابن حمديس، المصدر السّابق، ص 477.

أيَدَ الْمنُونِ قَدَحْـــتِ أيَّ زِنَـادِ وَأَطَرْتِ أَيَّـــةَ شُعْلَـةٍ بِفـُؤَادِي[1]

إذ شبّه الموت بالشّخص، ثمّ حذف المشبّه به، وأتى بشيءٍ من لوازمه (اليد) مع المشبّه.

وكالاستعارة المكنيّة كذلك في قول ابن حمديس:

أيّ خَطْبٍ عن قوسِهِ الموتُ يَرْمِي وسِهامٍ تُصِـــيبُ مِنْهُ فَتُصْمِـــي[2]

إذ شبّه الموت بشخص يرمي الأقوس، ثمّ حذف المشبّه به، و أتى بأحد لوازمه (يرمي) مع المشبّه.

وهذه الصّورة نجدها كذلك في قوله:

ومُحُوا من صحيفة الدّهرِ طُرًّا مَحوَ هوجِ الرّياح آياتِ رسْم[3]

إذ شبّه الدّهر بالكتاب، وحذف المشبّه به (الكتاب) ووذكر أحد لوازمه (صحيفة).

ومثل الصّورة السّابقة موجود في قوله:

والرّزايا في وعظهـــنّ البرايا في الأحايين ناطقـــاتٌ كبُكم[4]

و من الاستعارات كذلك ما في قوله:

---

[1] شرح ديوان محمود سامي البارودي، ص 71.

[2] ابن حمديس، المصدر السّابق، ص 477-478.

[3] المصدر نفسه، ص 478.

[4] ابن حمديس، المصدر السّابق، ص 478.

مَنْ تَوَسّدْتُ في حَشَايَا حَشَاهَا وارتدى اللّحمَ فيه والجلدَ عظمي[1]

حيث شبّه العظم بالجسد. و اللّحمَ والجِلد بالثّوب واللّباس،

و ما في قوله:

قُســـم الحُزْنُ بينَنَا، فَثِيرُ لك قسم، ويَذْبُلٌ منه قسمي[2]

حيث شبّه الحزن بشيء يقسم، ثّم حذفَ المشبّه به، وتى بما يدلّ عليه (قُسم) مع المشبّه.

و ما في قوله:

لم أقُلْ و الأسى يُصَـــدِّقُ قولي: جمدتْ عَبْرتي فلُذت بحِملي[3]

حيث شبّه الأسى بالإنسان، ثمّ حذف المشبّه به، و أبقى على ما يدلّ عليه (يصدِّق).

وما في قوله:

ولو نّي كففت دمعي عليها عقّني برّها فأصبح خصمي[4]

حيث شبّه البرّ بالابن العاق، ثمّ حذفه وأتى بقرينه دالة عليه، وهي (عقّني).

وما في قوله:

---

[1] المصدر السابق، ص 478-479.

[2] المصدر السابق، ص ن.

[3] المصدر نفسه، ص ن.

[4] اين حمديس، المصدر السّابق، ص 480.

ولبستَ العـــزاءَ يا خير فرعٍ قد بكى حسرةً على خير جِذْمِ[1]

حيث شبّه العزاء بالثّوب الأسود، ثمّ حذفه، وأتى بأحد لوازمه (لبست).

وقد استخدم الشعراء الثلاثة، كذلك، صورة الكناية. فمنها ما في قول جرير:

لَولاَ الحَيَاءُ لَعَادَنِي استعْبـــارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ، والحَبِيبُ يُزَارُ[2]

حيث كنى عن لوعة فراقه لها وشدّة شوقه إليها.

و منها كذلك ما في قوله:

ولهّت قلـــبي إذ علتنيَ كبرة وذوو التمائم من بينك صغار[3]

"فذوو التمائم" كناية عن الأطفال.

والكناية موجودة، كذلك، في قصيدة البارودي. ومن أمثلتها ما في قوله:

أبْلَتنيَ الحسراتُ حتى لم يكدْ جِسْمِي يلوح لأعين العواد[4]

حيث كنى عن هزاله ومرضه نتيجة المصاب الأليم. وهي كناية عن صفة.

وما في قوله:

فخدودهنّ من الدّموع نَديّةٌ وقلوبهنَّ من الهمومِ صوادِي[5]

---

[1] المصدر نفسه، ص ن.

[2] جرير، المصدر السّابق، ص 71.

[3] المصدر نفسه، ص ن.

[4] شرح ديوان محمود سامي البارودي، ص 165

[5] المصدر نفسه، ص ن.

حيث كنى عن بكاء بناته المتواصل، وعن حرقة قلوبهنّ بسبب الأحزان.

ومن الكناية كذلك ما في قوله:

ورد البريد بغير ما أمّلتـــه تعس البريد وشاه وجه الحادي[1]

فعبارة "غير ما أمّلته" كناية عن نعيها.

3 -الموسيقى

يُعرّف قدامة بن جعفر الشّعر بأنّه: "قول موزون مقفًّى يدلّ على معنى" [2].

ويصفه ابن خلدون بأنّه: "الكلام الموزون المقفّى"[3].

لذلك يَدرُس الباحثون موسيقى القصائد من خلال "الوزن" و"القافية". وهذه نظرة على موسيقى القصائد الّتي اخترناها نماذج لرثاء الزوجات.

أ -من حيث البحر المستخدَم، نلاحظ أنّ جريرًا و البارودي استخدما الكامل، وأنّ ابن حمديس وظّف الخفيف.

ب -اختار جرير الرّاء رويّا لقصيدته، واختار ابن حمديس الميم، وبنى البارودي قصيدته على حرف الدّال.

---

[1] المصدر السابق، ص. ن.

[2] قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تحقيق محمّد عبد المنعم خفاجيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ط.)، (د. ت.)، ص 64.

[3] عبد الرّحمن ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، تحقيق عليّ عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربيّ، القاهرة، ط2، 1967م، ج4، ص 1405.

ونستنتج من هذا أنّ جريرًا وابن حمديس والبارودي كانوا محافظين في مجال الموسيقى الشّعريّة في الوزن و القافيّة؛ فالبحران المستخدَمان من البحور الشّائعة في التراث الشعريّ العربيّ منذ العصر الجاهليّ، والحروف الموظَّفة في باب الرَّوِيّ شائعة الاستعمال منذ ذلك العصر. وقد وُفّق الشّعراء في هذا المجال، إذ جاءت الموسيقى مناسبة لمضمون مراثيهم.

الخاتمة

الخـــاتمـــة

وبعد، فقد دار هذا البحث حول موضوع رثاء الزّوجات في الشّعر العربيّ. وفيما يلي تلخيص لأهمّ ما انتهيت إليه:

- ❖ الرّثاء غرض من أقدم أغراض الشّعر العربيّ. وقد احتلّ حيّزًا هامًّا في الشّعر العربيّ القديم و الحديث.ومن أجود أنواعه رثاء الزّوجات، لأنّه يدلّ على وفاء الرّجل لزوجته وأمّ أولاده.
- ❖ من أشهر الشّعراء الّذين نظموا في هذا الغرض: جرير (من العصر الأمويّ)، وابن حمديس (من المغرب)، و البارودي (من العصر الحديث).
- ❖ يُعَدّ رثاء الزّوجات من أصدق ما نظم الشّعراء إحساسًا؛ فهو يصف مرارة الألم، ويصوّر حزن الفراق.
- ❖ احتوت النّصوص التي نظمها الشّعراء في رثاء الزّوجات على عناصر المرثية الأساسية، أي: النّدب، والتأبين، والعزاء.
- ❖ امتاز رثاء الزّوجات بالصّور الرّائعة والأسلوب الجميل.

كان الشّعراء الثلاثة محافظين في مجال الموسيقى؛ فقد نظموا في البحور المشهورة، واستخدموا القوافي المألوفة.

قائمة المصادر

و المراجع

المصادر و المراجع

- ابن حمديس، عبد الجبّار، ديوانه، تصحيح إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.)
- إميل ناصف، أروع ما قيل في الرثاء، دار الجيل، بيروت،ط2، 2003م.
- ابن خلدون، عبد الرّحمن، مقدّمة ابن خلدون، تحقيق عليّ عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربيّ، القاهرة، ط2، 1967م.
- ابن رشيق، أبو عليّ الحسن القيروانيّ، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط 5، 1401هـ/ 1981م، ج2.
- ابن زيدون، أبو الوليد أحمد القرطبي، ديوانه، تحقيق كرم البسّاني، دار صادر، بيروت، ط3، 2003م.
- جرير، أبو حَزْرَة بن عطيّة التميميّ، ديوانه، تحقيق عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.
- الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد، معجم الصّحاح، دار المعرفة، بيروت، ط 3، 2008م.

- الدسوقيّ، عمر، محمود سامي البارودي، سلسلة "نوابغ الفكر العربيّ"، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط3، (د.ت.) .
- الزيّات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربيّ، دار المعرفة، بيروت، ط 11، 1428هـ، 2007م.
- سراج الدّين محمد، الرّثاء في الشّعر العربيّ، دار الرّاتب الجامعيّة، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.).
- الشّايب، أحمد، أصول النّقد الأدبيّ بين القديم والحديث، دار النّهضة العربيّة، بيروت، (د.ط.)، 1984م.
- الشرتونيّ، سعيد الخوريّ، كتاب أقرب الموارد والشارد في فصيح العربيّة، إيران، (د.ط.)، 1403هـ.
- شوقيّ ضيف، الرّثاء، سلسلة فنون الأدب العربيّ، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط2، 1955م.
- عاصي، حجر، شرح ديوان محمود سامي البارودي، دار الفكر العربيّ، بيروت، ط1، 2002م.
- العشماويّ، محمد زكيّ، قضايا النّقد الأدبيّ بين القديم و الحديث، دار النّهضة العربيّة، بيروت، (د.ط.)، 1984م.

- الفاخوريّ، حنّا، تاريخ الأدب العربيّ، دار الأصالة، الجزائر، ط10، (د.ت.).
- قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تحقيق محمّد عبد المنعم خفّاجيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.).
- مالك ومتمّم ابنا نويرة اليربوعيّ، ديوانهما، تحقيق إبراهيم مرهون الصّفّار، مطبعة الإرشاد، بغداد، (د.ط.)، 1968م.
- المهلهل، عديّ بن ربيعة التغلبيّ، ديوانه، تحقيق أنطوان محسن القوّال، دار الجيل، بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م.

فهرس

الموضوعات

فهـــرس الموضـــوعات

إهداء.....

المقدّمة.....أ

المدخل.....1

1 - تعريف الرّثاء.....1

2 – ألوانه.....3

3 - لمحة تاريخيّة.....4

المبحث الأوّل: رثاء جرير لزوجته.....8

ترجمته.....8

نصّ المرثية.....9

شرحها.....11

المبحث الثّاني: رثاء ابن حمديس لزوجته.....13

ترجمته..... 13

نصّ المرثية.....15

شرحها.....16

المبحث الثّالث: رثاء البارودي لزوجته.....18

ترجمته.....18

نصّ المرثية.....19

شرحها.....20

المبحث الرّابع: الخصائص الفنّيّة.....21

1 - هيكل القصيدة.....22

2 – اللّغة.....25

3 – الصّور.....27

4 - الموسيقى.....32

الخاتمة.....34

قائمة المصادر و المراجع.....35

ملخّص

الرثاء من أبرز أغراض الشّعر العربيّ. ومن أنواعه : رثاء الأشخاص. ومن هذا النّوع: رثاء الزّوجات. ومن الشّعراء الّذين نظموا قصائد في هذا النّوع: جرير، و ابن حمديس، والبارودي. وقد احتوت مراثي الزّوجات الّتي نظمها أولئك الشّعراء على النّدب، والتأبين، والعزاء؛ فقد بكى أولئك الشّعراء زوجاتهم، وعدّدوا خصالهنّ ، وحاول بعضهم التعزّي عن فقيدته. وقد استخدم أولئك الشّعراء وسائل فنّيّة مناسبة، فوظّفوا اللّغة الرّقيقة، وأحكموا النّسج، واستعانوا بالصّور البيانيّة على جلاء عواطفهم، ونظموا في البحور المشهورة، واستخدموا القوافي المألوفة.

كلمات مفتاحيّة: الشعر، الرثاء، الزوجات.

Abstract

The elegy is a famous kind of the arabic poetry. Among this kind, we find the elegy of the wives. Among the poets who composed poems in this kind, we find : Jarir, Ibn Hamdis and El Barroudi. In the the poems of those poets we find : lamentation of their wives, Their eulogy and the consolation.The poets used convenient artistic ways : lexicon, figures, rhythm...

Key-words : Poetry, Elegy, wives.

Résumé

« L’élégie » est un thème important de la poésie arabe. Et parmi ce thème il ya : l’élégie des personnes. Et parmi ce genre il ya :l’élégie des femmes.

Parmi les poètes arabes qui ont composé des élégies, dans leurs femmes, se trouvent Jarrir, Ibn Hamdis, et El Baroudi.

Les élégies composées par ces poètes comportent la lamentation de la défunte, son éloge, et la consolation du poète.

Les trois poètes ont utilisé des moyens artistiques convenables : lexique, figures, rythme...

Mots- cleys :Poésie, élégie,femmes.